الدرس العقدي بين المسار التاريخي وراهنية الدور الحضاري

د/ زبيدة الطيب: أستاذ محاضر أ

الطالب: دحمان عزوز

كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملتقى الوطني حول : راهنية الدرس العقدي وإشكالاته المنهجية

تنظيم: مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

بتاريخ: 13 ماي 2019

الملخص

يكتسي الحديث عن الدرس العقدي أهمية بالغة في ظل الواقع المشهود للفكر الإسلامي ،وتبرز قيميته نظير ارتباطه بأهم مقوم للأمة الإسلامية وهي العقيدة الإسلامية التي تشكل مرتكزا أساسيا لوجودها الانساني أو فعلها الحضاري.

ولما كانت الأهمية للعقيدة الإسلامية بهذه الشاكلة فان الحديث عن الدرس العقدي المعبر عنها والشارح لها هو الذي سيكون محور حديثنا في هذه الورقة التي تسعى الى مدارسة العقيدة ودرسها.

summary

Talking about the doctrinal lesson is of great importance in light of the witnessed reality of Islamic thought, and its value stands out due to its association with the most important component of the Islamic nation, which is the Islamic faith, which constitutes a fundamental basis for its human existence or its civilizing action.

And since the importance of the Islamic faith is in this way, talking about the doctrinal lesson that expresses and explains it is the one that will be the focus of our conversation in this paper that seeks to study and study the faith.

إشكالية الدراسة

تأتي إشكالية الورقة عبر محاولة استكناه وضع الدرس العقدي ومساره قديما وحديثا لنسوق الاشكال الأساسي لهذه الورقة البحثية متمثلا في السؤال التالي:ما مسار الدرس العقدي تاريخيا؟وما هي الأدوار الراهنية له لينتظم في صياغة الفعل النهضوي الحضاري ؟

وفي محاولة الإجابة على هذه الإشكالية وجب تقديم مفاهيمي للدرس العقدي – موضوع الدراسة-من اجل تسهيل الوصول الى إجابات عميقة وصادقة حول أهم مقومات الامة الإسلامية ..العقيدة ودرسها.

الدرس العقدي :دراسة في المفهوم

تنطوي محاولة تقديم مفهوم حدي للدرس العقدي مخاطرة كبيرة-برأينا-نظير ارتباطه وتقاطعه مع علم العقيدة او ما يعرف أساسا بعلم الكلام الإسلامي ،تفترض الورقة أن علم الكلام ليس هو الدرس العقدي تأسيسا على التعريف المفارق بينهما ،فإذا كان الدرس العقدي"ما يقدم للطلبة في الجامعات وللمتلقين في المدارس والمساجد وعبر المنصات الالكترونية التعليمية وغيرها من وسائط المعرفة المتاحة في ظل التطور التكنولوجي المعاصر ،يقدم الدرس العقدي مفردات العقيدة الإسلامية ومسلماتها اليقينية وقضاياها الكونية بطرح مبسط وأسلوب التقرير والتصديق "•.

أما بخصوص علم الكلام الإسلامي فهو يعرف بأدواره الوظيفية ومثال ذلك ماذكره ابن خلدون في مقدمته حيث اعتبر علم الكلام الإسلامي ""هو علم يتضمن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[1]

• –هذا تعريف من اجتهاد الباحث في حدود الاطلاع والادراك .

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ،ط 1 ،2004 ، ص،494.

كذلك نورد تعريف أبي نصر الفارابي الذي يقول فيه: "وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل"[1] .

فالفارابي اعتبر علم الكلام ملكة وصناعة لا يمكن ان تتأتى لجميع المفكرين والمشتغلين بالفكر الديني ،ومن خلال هذه التعريفات نفترض ان الدرس العقدي يشمل علم الكلام بل ويتجاوزه ،فعلم الكلام بالنسبة للدرس العقدي جزء من كل .

وقصارى القول أن مخرجات الدرس العقدي واضحة ومبسطة ومتاحة ،يمكن استيفاءها واستيعابها لجميع البشرية على اختلاف مداركهم وتنوع نظمهم،ذلك ان قضايا الدرس العقدي مركونة في الفطر البشرية يسهل شرحها وتقديمها للانسان نيقول الله تعالى"﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: 95 - 98]

يؤيد الطرح السابق ما ذكره الدكتور عبد المجيد النجار بقوله الاتي:"جاءت العقيدة الإسلامية بينة في نصوص القرآن و الحديث، و كان فهم نصوص الوحي قدراً مشتركاً بين جميع المسلمين بحيث يمتنع أن يدعي أحد احتكار فهم تلك النصوص و تفسيرها و نصب نفسه الناطق الرسمي باسمها لتصبح أفهامه و شروحه ملزمة للناس ، و اتفق المسلمون على مفاهيم العقيدة التي وردت النصوص بشأنها قطعية الثبوت و الدلالة، و اختلفت أفهامهم في بعض القضايا التي وردت ظنية في الثبوت أو الدلالة أو فيهما معاً "[2].

تأسيسا على ما سبق نخلص الى أن علم الكلام الإسلامي ابرز مظاهر الدرس العقدي لكنه يمثل جزءا من الكل ،وهو ما يقودنا الى السياق التاريخي للدرس العقدي في صيرورة الحضارة الإسلامية وتاريخ الامة الإسلامية.

---

[1] –أبو نصر الفارابي ،إحصاء العلوم، تحقيق: د. عثمان أمين، دار الفكر العربي،ط2، 1949 م، ص 108.

[2] –عبد المجيد النجار، دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية ، مجلة إسلامية المعرفة ،العدد الأول ،محرم،1416هـ.

بداية خليق بالذكر ان الحديث عن المسار التاريخي لتمثلات الدرس العقدي وصيرورته مجرد املاءات تمليها اكراهات الكتابة ،ذلك أنه انحسر وتقلص في مساحات صغيرة وفي صور تجريدية ونظرية انتفى عنها البعد المعرفي الموضوعي وحتى الجانب الروحاني الذي يستلزم مع التصديق الايماني،فالعقائد الدينية "لا تعتمد على جانبٍ واحدٍ من جوانب الحياة النفسية للإنسان: الوجدانية والإرادية والعقلية، ولكنها تتصل بها اتصالا وثيقاً ولا ترَضىَ نفس المرء ولا تكمل شخصيته إلا إذا تضامنت (تضامت) شخصيته ونواحيه النفسية كلها، وعملت معا على تقبل كل عقيدة من عقائده... فيوجد قبول عقلي واطمئنان قلبي، والتقاء مع الإرادة، وذلك هو كمال الشخصية، وهو كمال الاعتقاد، وهو كمال العقيدة كذلك"[1].

كل ذلك على حساب امتداد الطرح الموغل في ارواء العقل المسلم بقضايا العقيدة في جانبها النظري وللأسف-في فرعياتها-نظير ارتهانه بظروف تاريخية أسهمت في تغليب الجزء على الكل ،واقصد هنا تعميم مناولات علم الكلام على حساب قضايا الدرس العقدي الذي يمازج في قضاياه أسلوبه بين الوجود بشهوده والغيب بدلالاته .

ولعله من الانصاف ان لا نحمل مسؤولية تغيير اتجاهات الدرس العقدي الى علم الكلام وحده ،ذلك ان انحراف بعض علوم الملة الأخرى أسهم بأعطابه المنهجية والمعرفية في الدرس العقدي لان العلوم تتكامل وتتواصل في اطار المنظومة المعرفية للحضارة ،وتحت هذا السقف الفكري المهترئ تسربت قضايا المعرفة الذوقية عبر الالهام الى مساحات الدرس العقدي فشكلت خطرا عليه وعلى أسلوبه العقلي في طرح القضايا وتأسيس الايمان بها .

وتدليلا على هذا الطرح نذكر قول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي "ثم هو يتفق مع آراء الصوفية الذين يعتمدون في تحصيل اليقين على التوجه إلى الله بالعبادة والذكر،

[1] – محمود حب الله، الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية، دار إحياء الكتب العربية، بيروت 1948،ص 268.

وتفريغ القلب من الشواغل، وانتظار ما يرد عليهم من الفيوضات والإلهام والعلم اللدني الذي يتصف بالوثاقة واليقين "[1].

ولا يمكن هنا اغفال الدور الخطير الذي لعبه الاستبداد السياسي عبر تاريخ الامة في تقويض اركان الشق المعرفي من علوم الامة وكانت لمسته واضحة جلية في خلط السلطان السياسي بالسلطان الرمزي او الديني لشرعنة مواقف سياسية وتاييد صحتها بالتدليل الديني.

ولنسق مثالا شارحا ،أورده الدكتور طه جابر العلواني في كتابه"الأزمة الفكرية ومناهج التغيير"حول قضية الجبر والاختيار فيقول [2]" أن خلفية هذا القضايا خلفية سياسية، لكن القضية الأساسية التي ربطت به أو بنيت عليه، وعملية ترويج معاوية لهذا الأمر، كانت مرتبطة بهذا الأمر، كانت مرتبطة بأمر أن كل هذه الأشياء التي عملتها أنا أو تعمل في الدولة هِي لله -سبحانه وتعالى- وهو المسئول عنها، مما دفع الْحسن البصري – والرجل من أئمة التابعين وكبارهم- وعاصر وشهد واتصل بخمسمائة من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- أن يكتب رسالة قيمة إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يعاتبه فيها على إشاعة هذا النوع من الأفكار ويقول له: إنكم ترسلون شرطتكم يهينون الناس ويظلمون الناس وتقولون هذا بقدر ،إن من وكلائكم وعمالكم من يشرب الخمر ويعتدى على الناس وتقولون هذا بإرادة الله –تبارك وتعالى " قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[الأعراف: 28].

وهو ما يلخصه فيلسوف الحضارة وعلومها المفكر الجزائري 'مالك بن نبي ' رحمه الله، الذي أرجأ جذور الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة الى هذا النوع من الفساد والاستبداد السياسي، فيذكر في كتاب وجهة العالم الاسلامي " وإن العالم الإسلامي لفي مسيس الحاجة في هذه النقطة إلى أفكار واضحة تهدي سعيه نحو النهضة ولهذا فإن مما يهمنا في المقام الأول أن نتأمل الأسباب البعيدة التي حتمت تقهقره وانحطاطه،فلقد عرف هذا العالم أول انفصال في تاريخه في معركة صفين عام 38 للهجرة، إذ كان يحمل بين

[1] – أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال ،المنقذ من الضلال، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، مع أبحاث في التصوف، دار الكتب الحديثة،مصر ط 7، 1972 ،ص 1

[2] – طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير: الآفاق والتطلعات، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع,ط1، 2002م،ص 55-56.

جنبيه بعد قليل من سنوات ميلاده تعارضاً داخلياً؛ كانت (حمية الجاهلية) تصطرع مع (الروح القرآني)" [1].

إن قراءة عميقة لفكرة مالك بن نبي-رحمه الله- خارج السياق الفقهي التقليدي ونقاشاتها الجزئية التي شغلت نقاد كثير من الفقهاء والمؤرخين حول موقعة صفين، وتراعي سياق تبلورها سياسيًا وفكريا يقودنا الى نتيجة حتمية مفادها الزواج الكاثوليكي الحاصل بين الفكر الديني والعامل السياسي وهو ما استمر ولا يزال في واقع الامة الإسلامية لم ينزه –بتداخلاته- حتى الدرس العقدي .

إن هذه الأسباب مجتمعة او متفرقة عمقت اخاديدها في مسار الدرس العقدي واسهمت في أعطابه المنهجية وتوجيه قضاياه المعرفية.

<u>راهنية الدور الحضاري لدرس العقيدة</u>

شهدت الحقبة المعاصرة دعوات و كتابات هامة تدعوا الى صوغ نهضة حضارية وفق مسار اسلامي ينبني على عقيدته التي تمثل منطلقا وموجها لحراك المسلم في عالم اليوم، وقد دأب كثير من المفكرين مثل محمد اقبال ومالك بن نبي والشيخ محمد الغزالي وعبد المجيد النجار ..وغيرهم كثير على تقديم مقاربات جديدة للدرس العقدي تعمد الى ربط الانسان بالكون وتفسير وجوده في اطار الشهود الحضاري والخلافة على الأرض ،وفي هذا يقول محمد اقبال : (وكون المشيئة الإلهية اقتضت ذلك دليل على ما لله من ثقة في الإنسان ولقد بقي على الإنسان أن يبرهن على أنه أهل للثقة) [2].

فالعقيدة الإسلامية في تفسير الوجود الإنساني تعتبر أن الانسان مخلوق لغاية سامية عبر عنها القران الكريم في الاية الكريمة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56].

[1] – بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي ترجمة :عبد الصبور شاهين ،دار الفكر دمشق ، سوريا ،ط 1986،1م ،ص 29.

[2] – محمد إقبال ، تجديد التفكير الديني في الإسلام،ترجمة :عباس محمود ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ، ط 2، 1968م،ص 102.

هذه الغاية السامية تنتظم معها وترافقها توازيا مهمة إنسانية كبرى ،تتجه الى خلافة الله في الأرض بتعميرها وتسخير الكون ومقدراته في اطار السعي البشري نحو فعل حضاري يمتزج فيه الوجود بالغيب وفق نظام تكاملي ورؤية عقدية سليمة.

وبذلك يكون "العلم والعمل بعدي الإيمان ومنظوري تأليف بعدي الإيمان تأليفا يوحد بينهما في حال الإيمان الفعلي من حيث هو استثناء من الخسر لأن الصفات هي المقاصد إذ تتحقق في الأفراد والمقاصد هي الصفات إذ تتحقق في الجماعات. لذلك حدد الإيمان في سورة الإخلاص فرديا بالإيمان والعمل الصالح وجماعيا بالتواصي بالحق (بعد التصديق) والتواصي بالصبر (بعد التطبيق)".[1]

هذا المسلك الشارح لتوجهات الفكر النهضوي في جسم الامة الإسلامية يدعوا صراحة الى المزاوجة بين التصديق الايماني والفعل الإنساني،ذلك انه لا تعارض بينهما ،بل إنه من تمام استيفاء الايمان العمل الحضاري وعمارة الكون وفق نظام يحدده الخالق بين مخلوقاته ،"فالاستخلاف الإنساني لا يخرج عن أحد مسارين: مسار يتوجه فيه الآدمي في حياته مجدي الوحي المنزل من الله، المبلغ على يد رسله الأخيار، وهو –في هذه الحالة – يناسب أن نسميه استخلافاً إيمانياً، ومسار يقوم على أساس عقلي محض، وهو ما يناسب تسميته بالاستخلاف الوضعي".[2]

غير ان المفارقة البنيوية التي صادفت جهود مفكري النهضة وروادها تمثلت في كون كل هذه الاطروحات عن العقيدة وادوارها تعبر عن "مفهوم لا عن ما صدق!"،وهو ما يثير التساؤل مجددا عن قيمية الدلرس العقدي في الياته ومناهجه ومفرداته.

يسعفنا فيلسوف الفكر والحضارة مالك بن نبي-رحمه الله-بإجابة هامة مفادها " والمسلم حتى مسلم ما بعد الموحدين، لم يتخل مطلقاً عن عقيدته، فلقد ظل مؤمناً، وبعبارة أدق ظل مؤمناً متديناً، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلل من صلاته بوسطه الاجتماعي. وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى

[1] – أبو يعرب المرزوقي ، مقومات العقيدة و شروطها ،https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com
تاريخ الدخول :2019/02/26.

[2] – عبد المجيد النجار ، إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر – 1438هـ-2017 م، العدد 89،ص 113.

هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن (نبرهن) للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه باعتباره مصدراً للطاقة"[1].

وقصارى القول ان التاسيس لدرس عقدي راهني ينبغي ان يتحه الى تجديد الياته ومناهج طرحه للمتلقين ،وان الخلل –حسب راينا –يكمن في طريقة ومنهجية تقديم الدرس العقدي بصورة أكبر،ومن صور التقديم ان يتجه الى البساطة والوضوح في التعريف بالعقيدة ومفرداتها،بأدلة شرعية وبراهين عقلية ،مع توظيف مكتسبات العلم الحديث وفتوحاته الكبرى.

كما ينبغي العمل على تأهيل مؤطري الدرس العقدي وامدادهم بمعارف متكاملة تضمن لهم التنويع في الطرح بغية تثبيت المفاهيم ، على ان ينبروا للإحاطة بالفلسفات والأفكار المناوئة في حقل الفكر الديني عموما.

<u>خـاتمة</u>

في نهاية هذه الورقة نخلص الى النتائج التالية :

- الدرس العقدي من اهم مباحث الفكر الإسلامي الحالي نظير قيميته واهمية ادواره.

- علم الكلام الإسلامي ليس هو الدرس العقدي بل يمثل له الجزء من الكل.

- يبين استقصاء المسار التاريخي للدرس العقدي كارثية تاثير التصوف السلبي والكلام الإسلامي على موضوعاته وأهدافه ومساره.

- الأدوار الراهنية للدرس العقدي تنتظم في اطار الفعل النهضوي الإسلامي.

- ضرورة مزاوجة الدرس العقدي بالعمل الواقعي لتحقيق الاستخلاف الإنساني .

-ضررة تاهيل العاملين في حقل الدرس العقدي وتطوير آداءهم معرفيا ومنهجيا.

[1] – بن نبي مالك، المرجع السابق،ص 54.

أخيرا إن مقاربة الدرس العقدي بأدواره الوظيفية ومضامينه المعرفية ومحاولة تنزيهه عن عوالق التاريخ واكراهات الظرفية ، بحاجة الى مزيد من الانضاج والتطوير والتفاعل بين رواد الفكر العقدي والديني ،مما قد يسهم في تقديم رؤى جديدة وتصورات اكثر فاعلية وهو ما تهدف اليه هذه الورقة البحثية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال ،المنقذ من الضلال، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، مع أبحاث في التصوف، دار الكتب الحديثة،مصر ط 7، 1972 .

-أبو نصر الفارابي ،إحصاء العلوم، تحقيق: د. عثمان أمين، دار الفكر العربي،ط2، 1949 م

- بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي ترجمة :عبد الصبور شاهين ،دار الفكر دمشق ، سوريا ،ط1 ،1986م .

- طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير: الآفاق والتطلعات، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع,ط1، 2002م،ص 55-56.

- عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ،ط 1 ،2004 ، ص،494.

- محمد إقبال ، تجديد التفكير الديني في الإسلام،ترجمة :عباس محمود ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ، ط 2، 1968م.

- محمود حب الله، الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1948م.